مستقبل التعليم المفتوح: حوار مع مؤسس (Moodle)

دون واتكنز



الملخص:

يعرض المقال مقابلة مع مارتن دوغيماس حول مستقبل التعليم المفتوح وتجربة (Moodle) ورؤية اتحاد (Open EdTech). وتناقش المقابلة التوازن بين المعايير العالمية والتخصيص المحلي، وبناء بنية تتمحور حول المتعلم وتدعم المساواة والاستدامة منذ التصميم. كما تتناول نماذج تمويل الخدمات، ودروس التوسع أثناء الجائحة، ودور المجتمع والإضافات في التطوير التدريجي. وتبحث فرص الذكاء الاصطناعي في تقليل الأعمال المتكررة وربط المتعلمين بالخبرات، ومخاطر الهيمنة والمعلومات المضللة والاعتماد على نظم مملوكة. ويؤكد الحوار أن التعلم يتطلب جهدًا وتفاعلًا وتغذية راجعة، وأن معالجة الانتحال ترتبط بجودة الممارسة التعليمية. ويقدم التصورات المستقبلية بوصفها آراء صاحب المقابلة وتطلعاته وقت نشرها، مع الحفاظ على صيغة السؤال والجواب.

الكلمات المفتاحية: التعليم المفتوح، (Moodle)، التقنية التعليمية، التعلم المتمحور حول المتعلم، الذكاء الاصطناعي

قبل سنوات كثيرة، تعرفت إلى (Moodle) خلال رحلة تعليمية ثرية إلى بورتلاند في أوريغون. وبوصفي متعلمًا ومعلمًا شغوفًا، أدهشتني حزمة تدمج أدوات مختلفة في بيئة حيوية للتعليم والتعلم والتقييم. ودفعني حماسي لنظام إدارة التعلم الحر والمفتوح إلى تنزيله وتطبيقه سريعًا في منطقتنا التعليمية.

أصبحت بعد ذلك مديرًا لـ (Moodle) ومعلمًا مرجعيًا له في المنطقة، ثم طالبًا جامعيًا يستخدمه للحصول على الماجستير.

وأتيحت لي فرصة التعمق في (Moodle) والتواصل مع منشئه مارتن دوغيماس، وهو مفكر رائد في التعليم. أجريت معه سنة 2016 مقابلة عن وضع المنصة آنذاك، ولم أكن أعلم أنها ستفتح أمامي عالم التعليم المفتوح.

وفي مطلع سنة 2023، مع انتشار الحديث عن (ChatGPT) والنماذج اللغوية الكبيرة في الأوساط التعليمية، وجدت نفسي، بفضل اهتمامي السابق، ضمن قائمة بريدية للتعليم المفتوح. ثم دُعيت إلى نقاش (Open EdTech)، وهو حوار عالمي عبر (BigBlueButton) جمع جمهورًا متنوعًا لاستكشاف أثر التقنية الجديدة في التعليم.

وسرني أن دوغيماس رأى في الموجة الجديدة فرصة واعدة للتعليم، فأضاف منظوره حيوية إلى الحوار. وألهمني اللقاء وكلماته اللاحقة في (MoodleMoot) ببرشلونة سنة 2023 إجراء هذه المقابلة الأخرى، التي تتناول التعلم الإلكتروني أثناء الجائحة والذكاء الاصطناعي وقوة المجتمع. وقد حرر الناشر الأصلي المقابلة واختصرها للوضوح.

دون واتكنز: لماذا يمثل الانفتاح الطريق إلى الأمام في التعليم:

مارتن دوغيماس: لم يكن التعليم يومًا طريقة واحدة؛ فهو ممارسة شديدة الارتباط بالسياق والثقافة. وفي المقابل، يوفر التشغيل البيني فوائد كثيرة، ويمنع إعادة اختراع الموارد والممارسات التعليمية.

ويتيح المصدر المفتوح والمعايير والممارسات المفتوحة عمومًا توازنًا ممتازًا بين المشاركة العالمية والتخصيص والابتكار المحليين اللازمين لكل حالة. وقد جاء كثير من البرمجيات المفتوحة، تقليديًا، من المعلمين والمؤسسات التعليمية؛ فالعقلية منسجمة مع تقليد طويل من البحث الأكاديمي والمشاركة.

(OpenSource.net): ما (Open EdTech)، وما علاقته بمستقبل (Moodle) والتعليم:

دوغيماس: هو اتحاد عالمي جديد أسسته حول فكرة مركزية: جمع عدد كبير من العاملين في التقنية التعليمية لتصميم رؤية قوية وطويلة الأجل لبنية تعليمية مفتوحة قدر الإمكان، ومهيأة للاستفادة الكاملة من الذكاء الاصطناعي والواقع الاصطناعي والتقنيات المقبلة. وينبغي أن تتمحور حول المتعلم، وتكون مرنة لكل سياق، وعالية الجودة، وتدعم توازنًا جيدًا بين المعايير وابتكار جهات متعددة.

جاءت الفكرة من دوري رئيسًا تنفيذيًا لـ (Moodle) والتفكير في شكله بعد خمسة أو عشرة أو عشرين أو ثلاثين عامًا. فنظام إدارة التعلم ليس إلا جزءًا من حل التقنية التعليمية؛ واتضح أن الرؤية الطويلة يجب أن تضم أطرافًا كثيرة تساعد على بنائها.

ومع تطور الاتحاد، يمكن أن يصبح إطارًا مشتركًا تبني داخله شركات مثل (Moodle) وغيرها، بدءًا بالتكاملات، ثم بحلول جديدة تمامًا داخل المنظومة.

(OpenSource.net): تقول إن أفضل بنية نبنيها تعزز المساواة والاستدامة لأنهما جزء من تصميمها. كيف يحقق الاتحاد ذلك:

دوغيماس: هذه فعلًا عبارتي في صفحة الرؤية. أما المساواة، فهدفنا ضمان شمول الجميع في تصميم المستقبل: أن يعمل على أجهزة متواضعة وإنترنت بطيء، ويسهل استخدامه في كل بلد، ويكون حرًا ومجانيًا تمامًا. ينبغي إدراج كل متعلم على الكوكب، إن أراد، مدى الحياة. ولا مكان لنموذج الإعلانات أو الاشتراكات، ولا مساومة على ذلك.

قد توجد بالطبع خدمات مدفوعة في المنظومة، لكنها تظل اختيارية دائمًا. وسيسعى الاتحاد لتمويلها بطرائق مبتكرة، كإعادة توجيه بعض الإنفاق التعليمي الذي يذهب حاليًا إلى الشركات التجارية.

والاستدامة ضرورية أيضًا. لدي خبرة هنا: توظف (Moodle) مباشرة، وقت هذه المقابلة، 260 شخصًا لإنتاج منتجاتنا المفتوحة، وتدعم آلافًا آخرين، لأننا أوجدنا مصادر دخل مستدامة حول الخدمات. وما دام عدد كافٍ من المستخدمين يدفع لقاء خدمات إضافية، فقد يكفي ذلك لتمويل تطوير البرمجيات بوصفها منفعة مشتركة وتحقيق الرسالة. وتنتشر على الإنترنت مشروعات مفتوحة متروكة لأن هذه النماذج لم تُدرس بما يكفي. ومن المهم للمستخدم معرفة أن البرمجية التي يعتمد عليها آمنة ومستمرة؛ لذلك ندرج الاستدامة ضمن معايير التصميم.

(OpenSource.net): كيف تستعد (Moodle) للمستقبل، وما أبرز آثار طفرة الجائحة:

دوغيماس: أصبحت (Moodle) مشروعًا مفتوحًا كبيرًا وعريقًا، وما تزال، وفق وصفه وقت المقابلة، أوسع نظم إدارة التعلم استخدامًا عالميًا. عززت الجائحة ما يفعله المستخدمون السابقون، لكنها دفعت آخرين مذعورين إلى التعلم الإلكتروني، وأدت العجلة أحيانًا إلى تطبيق أقل جودة مما كان ممكنًا. غمرتنا نقاشات وفرص من أنحاء العالم، وحاولنا المساعدة باستضافة مجانية عبر (MoodleCloud) وتدريب مجاني عبر (Moodle Academy).

وتظل (Moodle) أشبه بمجموعة مكعبات (Lego) ، بقدرات تسمح ببناء منصات شديدة التخصيص. وعلى غرار (WordPress)، يطور المجتمع إضافات للوظائف التي يحتاجها؛ وكان عددها وقت الأصل يتجاوز 2100 إضافة في مستودع إضافات المنصة.

وتغطي خريطة الطريق الأساسية جوانب متعددة، تحت ثلاثة محاور: إطلاق الإبداع، وتيسير التعاون، وتحسين النتائج. ومعظم المشروعات الصغيرة ضمنها يركز على التحسين التدريجي بدل التغيير الجذري، لكثرة المعتمدين على المنصة كما هي. وتشبه ديناميتها نظام التشغيل، حيث يبدو التغيير تدريجيًا.

(OpenSource.net): كيف سيغير الذكاء الاصطناعي التوليدي التعليم والتعلم:

دوغيماس: لدي إجابتان عن هذا السؤال الكبير، الذي أفكر فيه منذ أظهر (GPT2) ومشروعات تعلم آلي أخرى أن قدرات مفيدة أصبحت متاحة. وأرى أن هذه الموجة ستغير المجتمع أكثر مما غيره الإنترنت خلال ثلاثين عامًا.

أولًا، ما يزال الإنسان يتعلم بالدماغ نفسه؛ وكثير من العمليات المعروفة بفاعليتها سيظل صالحًا. يحتاج التعلم إلى جهد وحركة وتركيز، ولا توجد اختصارات حقيقية. لكن الذكاء التوليدي يفيد في إزالة العمل الممل، مثل توليد المحتوى والخبرات وإدارتها وتحويلها، وتحليل كميات ضخمة من البيانات، وتوفير الوقت والجهد. وتعمل فرق (Moodle) ومجتمعها على مشروعات صغيرة كثيرة تستخدم الذكاء ضمن إضافات لهذه المهام.

وثانيًا، على المدى الطويل، أراه أساس موجة أتمتة شاملة في البرمجيات والحيز المادي عبر الروبوتات، ستؤثر في كل جانب من المجتمع. وينبغي، في رأيي، الدفع نحو مستقبل تتولى فيه الأتمتة كثيرًا من احتياجات الناس الأساسية والتخطيط له. وإذا أحسنا ذلك، فقد يصبح اضطرار الإنسان للعمل من أجل العيش مرحلة تاريخية؛ فلا ينحصر التعلم في المهارات الوظيفية، ويتسع وقت تعلم الجديد.

هذا هو المستقبل الذي أتمناه وأصمم له: تعلم بوصفه نشاطًا فكريًا ممتعًا، ييسره مساعد ذكاء شخصي يعرفك جيدًا ويربطك بسلاسة بخبرات شيقة. ولا أهتم كثيرًا بالمعلمين الآليين المتخصصين، لكنني أرى قدرة الذكاء على وصل الناس والآلات بطرائق جديدة؛ كما تفعل جزئيًا خوارزميات توصيات (YouTube) مع أصحاب المحتوى المميز، مع تصور اتساع ذلك إلى ما وراء الصوت والصورة، وصولًا إلى الواقع المعزز.

(OpenSource.net): ما الجوانب السلبية المحتملة للذكاء في مستقبل التعليم:

دوغيماس: سيستخدمه بعضهم للإقناع والسيطرة والربح في كل مجال، وسيدخل ذلك التعليم أيضًا. ونموذج الشركات الناشئة الممولة برأس المال الجريء وضغوطه حاضر بقوة في التقنية التعليمية؛ وقد قاومته عبر (Moodle) عقودًا. أصبحت الشركات الآن مبنية على الذكاء، لكن الاستراتيجية نفسها: السعي للفوز بالسوق وجعل أغلبية الناس معتمدين على نظم مركزية مملوكة، بقوة أكبر ومخاطر أشد.

وينشأ عن ذلك خطر من أنواع كثيرة. وأكثر ما يخيفني هنا القدرة على توليد كميات لا تحصى من محتوى يبدو معقولًا لكنه غير صحيح. وستغرق الأجيال المقبلة في أخبار زائفة بمقدار غير مسبوق، وتتراجع الثقة بالإنترنت، مما يؤثر في التعلم.

لهذا نحتاج إلى بناء مصادر معلومات موثوقة. ويركز أحد مشروعات (Open EdTech) على دور المؤسسات التعليمية في الحل. كما يستهدف مشروع الموارد التعليمية المفتوحة (MoodleNet) مشكلة الجودة هذه مباشرة.

(OpenSource.net): تدفع بعض المدارس إلى الكتابة اليدوية داخل الفصل لمنع الغش بالذكاء في المنزل. كيف يؤثر ذلك في التعلم الإلكتروني:

دوغيماس: أحد أسباب المشكلة ضعف بعض إجراءاتنا التعليمية، مع فصول مكتظة ومشاركة محدودة. فالمقالات الطويلة مثلًا كانت عرضة للانتحال قبل الذكاء بكثير. وقد دعوت دائمًا إلى وحدات أصغر تجعل المقرر سلسلة دورات تغذية راجعة متكررة.

وتكون المقررات الإلكترونية المبنية هكذا أقل تعرضًا للانتحال، لأن الجميع منخرط في تواصل طويل. ويمكن للمعلم الجيد توقع مستوى مقال طالب بعينه؛ فمن الأصعب خداع شخص تربطك به علاقة جيدة.

وفي النهاية المطلوب أن يؤدي الدماغ العمل، وأنا مع ما يحقق ذلك. وفي عالم مؤتمت محتمل يصبح فيه التعلم نموًا شخصيًا، قد تزداد جاذبية الخبرات خارج الإنترنت ومتعتها.

(OpenSource.net): هل نحتاج إلى نموذج تعلم جديد يبني على التربية البنائية ويتأثر بالذكاء:

دوغيماس: على الأرجح لا. ففي التعلم الأساسي يظل الدماغ دماغًا، إلى أن تنتشر على الأقل واجهات الدماغ والحاسوب، ويتطلب بناء المعرفة فعلًا وتكرارًا.

أما التعلم مدى الحياة، فبعضنا يعيش هذا المستقبل بالفعل. فالأثرياء وقادة المؤسسات محاطون بمساعدين يديرون التفاصيل، ليتفرغوا للرؤية العامة ويتعلموا من ملخصات مركزة وحوارات مع أقرانهم. ينجح هذا النموذج، وأراه مؤشرًا إلى نمط عيش يمكن أن يتاح للجميع في مستقبل مزدهر، إذا استطعنا تحقيقه.

ويدعو الناشر القراء الذين استخدموا منصات تعلم مفتوح في العمل أو الدراسة إلى مشاركة خبراتهم عبر رابط التواصل في المصدر.

المراجع:

- https://moodle.org/
- https://dougiamas.com/about/
- https://moodle.com/events/mootglobal/

- https://moodle.com/news/moodlemoot-global-2022-barcelona/
- https://openedtech.global
- https://moodlecloud.com/app/en/login
- https://moodle.academy/
- https://moodle.org/plugins
- https://moodle.net/
- https://opensource.net/submit-a-post/
- https://unsplash.com/@disruptxn?utm_content=creditCopyText&utm_medium=referral&utm_source=unsplash
- https://unsplash.com/photos/woman-and-man-sitting-in-front-of-monitor-IgUR1iX0mqM?utm_content=creditCopyText&utm_medium=referral&utm_source=unsplash
- https://unsplash.com/photos/macbook-pro-near-white-open-book-FHnnjk1Yj7Y
- https://unsplash.com/photos/woman-in-black-jacket-using-macbook-pro-xKJUnFwfz3s
- https://opensource.net/author/don-watkins/
- https://donwatkins.info